كلية : التربية الأساسية حديثة

القسم او الفرع : التأريخ

المرحلة: الثالثة

أستاذ المادة : م. د. مروان علي مخلف حمد

اسم المادة بالغة العربية : تاريخ الأندلس

اسم المادة باللغة الإنكليزية : History of Andalusia

اسم المحاضرة الرابعة عشر باللغة العربية: الأندلس في عصر بني الأحمر في غرناطة.

اسم المحاضرة الرابعة عشر باللغة الإنكليزية : Alandalas in the era of Beni Al-Ahmar in Granada.

الأندلس في عصر بني الأحمر في غرناطة

يعد عصر بني الأحمر آخر عصر إسلامي في الأندلس، ويمتد من سنة (٦٣٥-٨٩٧هـ/ ١٢٣٨-١٤٩٢م)، وهي السنة التي سقطت فيها غرناطة في أيدي الإسبان بعد أن حكم المسلمون الأندلس حوالي ثمانية قرون (٩١-٨٩٧هـ/ ٧١١-١٤٩٠م)، من خلال خمسة عصور كما اصطلح المؤرخون على تقسيمها، ويمكن اجمال هذه العهود التي كان لكل منها طابع مميز وعلى النحو التالي:

١- عهد الفتح: واستمر حوالي أربع سنوات (٩٢-٩٥هـ/٧١١-٧١٤م).

٢- عهد الولاة: (٩٥-١٣٨هـ/٧١٤-٧٥٥م)، ويعتبر بعض المؤرخين مدة الفتح داخلة في هذا العهد، والذي ينتهي بمجيئ عبد الرحمن الداخل الى الاندلس سنة (١٣٨هـ/٧٥٥م) وقد حكم الاندلس في هذا العهد والذي استمر حوالي ٤٢ سنة عشرون والياً تقريباً، كانوا تابعين للخلافة في دمشق مباشرةٍ او بواسطة ولاية الشمال الافريقي (افريقية والمغرب).

٣- عهد الإمارة: (١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٥-٩٢٩م) ويبدأ منذُ مجيئ الداخل الى الاندلس حتى اعلان الخلافة من قبل عبد الرحمن الناصر (الثالث) سنة (٣١٦هـ/٩٢٩م)، وقد أسس الداخل إمارة مستقلة عن الخلافة العباسية، أستمرت ١٧٨سنة.

٤- عهد الخلافة: (٣١٦-٤٢٢هـ/٩٢٩-١٠٣١م)، ويبدأ منذُ اعلان الخلافة حتى وفاة الحكم المستنصر سنة (٣٦٦هـ/٩٧٦م)، أو حتى الدولة العامرية في نهاية اقرن الرابع الهجري (بداية القرن الحادي عشر)، فكان عمر الخلافة حوالي القرن.

٥- عهد الطوائف: (٤٢٢-٤٨٤هـ/١٠٣١-١٠٩٢م) وهو عهد دول او (ملوك الطوائف) والذي سبقته أعوام من الفوضى، وقد استمر هذا العهد حوالي ثلاثة أرباع القرن، حتى دخول الاندلس سلطان المرابطين.

٦- عهد المرابطين والموحدين: (٤٨٤-٦٣٥هـ/١٠٩٢-١٢٣٨م) حيث دخلت الاندلس اولاً في دولة المرابطين التي تنتهي في حوالي (٥٢٠هـ/١١٣٤م) اي لأقل من نصف قرن. وبعد مدة تنضوي الأندلس لحكم الموحدين (قرابة القرن) الذي ينتهي في حوالي سنة (٦٣٥هـ/١٢٣٨م) ويمكن اعتبارهما عهدين مستقلين.

٧- عصر مملكة غرناطة: (٦٣٥-٨٩٧هـ/١٢٣٨-١٤٩٢م)، حيث تقوم دولة بني الاحمر وتستمر ما يزيد على القرنين والنصف، ويمثل سقوطها نهاية الحكم الاسلامي للأندلس وذهاب سلطان المسلمين السياسي منها، وتبقى ملايين عديدة من المسلمين عشرات السنوات، وتحملوا الكثير من الاضطهاد وعمليات الإفناء التي أتت عليهم، قتلاً وتشريداً، وكادت تأتي على كل ما خلفه المسلمون بأجناسهم من انتاج انساني رفيع كريم شمل مختلف الميادين.

لقد مرت مملكة غرناطة بتاريخ حافل بالأحداث السياسية الجسيمة منذ تأسيسها سنة (٦٣٥هـ/١٢٣٧م)، عندما دخلها ابو عبد الله محمد بن يوسف بن نصر، ويعلل ابن خلدون قيام دولة ابن الأحمر بما يتفق ونظريته العصبية والدولة، اذ اعتمد ابن الاحمر على عصابة قليلة من قرابته الذين كانوا يسمون بـ:(الرؤساء)، ولقد كان محمد بن يوسف بن الأحمر مؤسس مملكة غرناطة يحاول تجنب التصادم مع الممالك الإسبانية، وتمادى أحياناً في ذلك إلى درجة مهينة. قامت مملكة قشتالة بمهاجمة مملكة غرناطة، إلا أن قوات بني الأحمر بمساعدة المجاهدين من المغرب ردت كيد المعتدي، فأثار هذا الأمر حفيظة ملك قشتالة ألفونسو العاشر الذي ضاعف الهجوم فسيطر على عدة حصون، فاستغاث بنو الأحمر بأهل المغرب وتونس، فوصلت بعض الإمدادات إلى طريف ونظراً لتعاون ألفونس العاشر ملك قشتالة مع جايمش الأول ملك أرغون واللذين سيطرا على مدينة مرسية وحاصرا غرناطة بعد ذلك أولاً، ونظراً للخلافات الأسرية في عائلة بني الأحمر ثانياً، عقد ملك غرناطة الصلح مع ألفونسو العاشر عام ٦٦٥ هـ/ ١٢٧٦ م، وتنازل عن مدينة شريش وعدد من الحصون. وقبيل وفاة ابن الأحمر عام ٦٧١ هـ/١٢٧٢ م كرر ألفونسو العاشر هجومه على حصون مملكة غرناطة، فطلب ابن الأحمر العون من السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق الملقب بالمنصور، لكن النجدة لم تصل إلا بعد وفاة ابن الأحمر، فوصلت أيام محمد الثاني الملقب بالفقيه (٦٧١ - ٧٠١ هـ) الأمر الذي أدى بالسلطان محمد الفقيه في سنة ٧٠١هـ/١٣٠٢م الى تجديد اتفاقية سنة ٦٩٥هـ/١٢٩٥م مع مملكة اراغون الذي جنح أحيانا إلى مهادنة ملوك الإسبان، وأحيانا تعاون معهم ضد بني مرين، وبعد ان توفي محمد الفقيه وورثه ابنه السلطان محمد الثالث اذ تم خلع محمد الثالث بسبب مرض مزمن أصاب بصره، فأستبد بالأمر وزيره ابو عبدالله بن الحكم، لذلك تحرك اخوه نصر المسمى بـ: ابو الجيوش وسيطر على عرش السلطنة واستمر حكمه لها خلال المدة (٧٠٨-٧١٤هـ/١٣٠٨-١٣١٤هـ) وفي أيامه جرت وقائع وحوادث منها غزو قشتالة للجزيرة الخضراء برا، وغزوها لمضيق جبل طارق بحرا، ثم ان مملكة اراغون تدفعها العصبية الدينية والمصالح السياسية قامت بفتح جبهة مؤازرة لمملكة قشتالة. أُرغم

نصر على التنازل عن عرش غرناطة عام ٧١٣ هـ ليتولى أمرها إسماعيل الأول ٧١٣ – ٧٢٥ هـ/١٣١٤ – ١٣٢٥ م الذي اشتهر بالعدل والعفة، واهتم بأمر الجهاد. وحين قام القشتاليون بمهاجمة الأراضي الإسلامية استنجد إسماعيل ببني مرين وسلطانهم أبي سعيد، الذي رفض المساعدة لعدم استجابة إسماعيل لمطالب معينة. وبعد اغتيال إسماعيل الأول عام(٧٢٥ هـ / ١٣٢٥م) خلفه ولده محمد الرابع(٧٢٥ – ٧٣٣ هـ/ ١٣٢٥ – ١٣٣٣ م) ، وفي عهده استطاع مسلمو غرناطة بالتعاون مع بني مرين من استعادة جبل طارق عام (٧٣٣ هـ/١٣٣٣ م) أما عن نهاية محمد الرابع فلم تكن أفضل من نهاية أبيه، فاغتيل أيضاً فخلفه أخوه يوسف الأول(٧٣٣ – ٧٥٥ هـ/١٣٣٣ – ١٣٥٤ م) الذي كان من أبرع ملوك بنى الأحمر... وبعد ان استمر ذلك الحال بحروب تولى بها عرش مملكة غرناطة الكثير بمن حكمها حتى انتهت بتقسيم مملكة غرناطة بعد حصار دام سبعة أشهر صمد خلالها الغرناطيون، وفشلت كل محاولات الاقتحام المتكررة. ومع بداية شهر محرم من عام ٨٩٧ هـ/أواخر عام ١٤٩١ م ونتيجة اليأس وانتشار الجوع والمرض، اجتمع أعيان المدينة واتفقوا على تسليمها.

ويمكن القول بالرغم من صغر مساحة مملكة غرناطة ، إلا أنها استطاعت أن تبقى لمدة طويلة وتقاوم ضغط الممالك الاسبانية الشمالية، وان تحافظ على الوجود العربي الاسلامي في الاندلس زهاء قرنين ونصف من الزمان، علماً أن تأسيسها تزامن مع ازدياد إصرار وتصميم الاسبان في القضاء على المسلمين نهائياً واسقاط دولتهم. يعود سبب ذلك الى:

١. بعد مملكة غرناطة عن متناول أيدي الممالك النصرانية الاسبانية ، فهي محصورة في الزاوية الجنوبية لشبه الجزيرة الأيبيرية ، كما أن موقعها هذا سهل عليها الاتصال بعدوة المغرب ، طالبة العون منهم كلما اشتد عليها الضغط الاسباني ، وكانت الدولة المرينية أكبر عون لهذه المملكة الأندلسية.
٢. اهتم سكان غرناطة بالجانب العسكري اذ حملوا السلاح وتهيؤوا لملاقاة الظروف الطارئة ، كما أضيفت إلى هذه القوة ، قوة الوافدين إلى غرناطة وهم المسلمون الفارون من هجمات الممالك النصرانية فبعد سقوط الحواضر الأندلسية بيد الاسبان لجأ الكثير من مقاتلة هذه المدن إلى غرناطة وأعتبروها ملاذا لهم أمام هذه المخاطر فأضافوا قوتهم إلى قوة سكان غرناطة الأصليين.
٣. لا ينكر دور العامل الجهادي الذي التزم به سكان غرناطة وكان أحد أسباب صمودها لفترة طويلة أمام هجمات الاسبان ، فعامل الجهاد هو الذي ساعد على فتح الأندلس من قبل، وهو دوما يحميها من المخاطر الخارجية.

٤. دعم الدولة المرينية لها التي حكمت المغرب بعد سقوط الموحدين سنة (٦٦٨هـ)، حيث عملوا على ارسال الجنود والمؤن وغيرها من الأمور التي تساعد أهل غرناطة على الصمود، كما عملت الدولة (لمرينية) على تطبيق نظام يعرف (مشيخة الغزاة) و هذا النظام يعمل على تدريب المقاتلين عمل السلاح من أجل اعلاء كلمه (الله سبحانه و تعالى) وصد هجمات الممالك كذلك العمل على جعلهم التعاليم الاسلامية فضلا عن العلوم الشرعية و كان له الدور في دحر الممالك الاسبانية وكان يتولى المشيخة افراد من اسرة بني مرين حيث خاضوا معارك مهمة أهمها (معركة طريف) سنة إلى جزيرة طريف سنة ٧٤١هـ. حيث استطاعوا الانتصار على الممالك و تكبدهم خسائر فادحة.

٥. تميزت غرناطة بكثرة الخيرات و تعتبر منطقة خصبة وتكثر فيها المواد الغذائية والمناخ الجميل هذا كله ساعدهم على الصمود بوجه الممالك الاسبانية.

المصدر: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس

المؤلف: د خليل إبراهيم السامرائي – د عبد الواحد ذنون طه – د ناطق صالح مطلوب

عبد الرحمن علي الحجي: التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة.